



التطبيع أسئلة وهموماً

... وأخيراً، بدأت مسألة "رفض التطبيع" تخرج من حلقات اللفظية المبدئية لتنتقل الى دائرة الهموم الواقعية، فصارت تترجم اسئلة تفصيلية لم تكن ترد حتى على اذهان الرافضين بالجملة. ولعل في ذلك مؤشراً ليس فقط على شيوع الاقتناع بأن التسوية وشيكة، رغم التعثر الظاهر راهناً، وانما ايضاً على انتشار الشعور بأن هذه التسوية لن تحصل ما يكفي من الحق العربي حتى يعتبر المواطن نفسه على صلح مع فكرة الصلح. وبهذا المعنى هي ظاهرة صحية بما تتم عنه من حيوية فكرية، اذ يفيد النقاش الأخذ في التوسع ان التحطيم الذي تعرضت له مجتمعاتنا لم ينل منها كلياً.

فرغم الهزيمة التي نضرس اليوم بحصرمها والتحرير الذي منع المساءلة عنها، لا يزال هناك افراد وجماعات يتطلعون الى استمرار الكفاح من اجل ما كان محور حياة ثلاثة اجيال من العرب. بيد ان ارادة الحياة التي تقف وراء مقولة "رفض التطبيع" قد تتعرض للتشويش وتفقد دلالتها الصحية ان لم يتم الاقرار بأن هذه المقولة هي اكثر اشكالية مما قد يبدو للوهلة الأولى.

ولعل الاشكال الاول يكمن في ما ستكونه صورة المجتمعات العربية بعد التسوية. فالخوض في تفاصيل مسألة "رفض التطبيع" يعكس اقتناعاً ارادياً وان يكن لا شعورياً، بأن مرحلة ما بعد التسوية ستسودها في الدول العربية قيم الديمقراطية، فيصبح باستطاعة المجتمع استعادة حيز من الاستقلالية يتيح له انتاج خيارات وسياسات تتعارض مع تلك التي تضطر السلطة القائمة الى انتهاجها.

طبعاً، ان لهذا الامل ما يبرره، باعتبار ان التخفيف من حجم الجيوش الذي ستقرضه المعاهدات سيخفف تالياً من عسكرة الحياة السياسية، فيما يفضي الانفتاح الاقتصادي في عصر العولمة الى اضعاف حصريّة الفكر السلطوي (وتلك ربما الميزة الوحيدة لمثل هذا الانفتاح). غير ان هذه التحولات تحديداً هي ما يدفع السلطات القائمة الى التشنج حيال اي اعتراض، وخصوصاً اذا طاول ما كانت تدعي استقاء شرعيتها منه.

ولا بد من القول هنا ان الكلام عن تشجيع رسمي لصدور اصوات معارضة للتسوية، في فترة المفاوضات، لا يعني على الاطلاق السماح باستمرار هذا النقد بعد ابرام التسوية. وفي اي حال، لا يزول الاشكال كلياً ان صح "السيناريو السعيد" وحلت الممارسة الديمقراطية مكان الكبت والرقابات. اذ يبرز اشكال آخر امام مقولة "رفض التطبيع".

انه الاشكال الذي يثيره توصيف اسرائيل بعد التسوية. فحتى لو سلمنا بأن حرية التعبير ستكون مصونة، فهل سيظل مشروعاً من الناحية القانونية اعتبار اسرائيل "العدو"؟ من البديهي ان قيام علاقات دبلوماسية و"طبيعية"، كما سنتص عليها المعاهدات، بين اسرائيل وجميع الدول العربية، او في الحد الأدنى الدول المتاخمة لها، سيفقد صفة "العدو" سندها القانوني، هذا حتى لا نفترض ان مثل هذا التوصيف سيصبح خارجاً على القانون وتالياً سبب ملاحقة قضائية و/أو امنية.

ولا يخفف من تعقيد هذه المعضلة القانونية ان ننظر اليها من وجهة نظر سياسية. على العكس، قد تكون الامور اسوأ، اذ ان بقاء مقولة "العدو" في التداول يفتح الباب امام التشكيك في شرعية السلطات التي تكون اقامت صلحاً مع هذا "العدو"، بل انه يعيد تغذية عقلية الانقلاب فيما نحن بالكاد بدأنا نخرج منها. ذلك هو الاشكال الاعمق: اذا لم يعد ممكناً تحديد العدو، فكيف نقومّ التطبيع معه او



رفضه؟ هنا، ربما يجب العودة الى السؤال الاساسي، او قل البدائي: ماذا يعني "التطبيع"؟ وهل يجب ان نخاف منه؟ ان الاجابة تفترض تعريفاً عربياً جديداً لاسرائيل ما بعد التسوية، ومن ثم صوغ اهداف عربية تتلاءم مع الوضع الرسمي الجديد (ومع موازين القوى)، اي انها ستكون حكماً ما دون الشعار القديم القائل ب"ازالة الكيان الصهيوني"، وهي مهمة غير متاحة اصلاً.

وكيف نعرّف اسرائيل اذا لم تعد "العدو" في التوصيف الرسمي واذا كان يستحيل، في المقابل، او هكذا يؤمل، ان تكون "الصديق" في التوصيف الشعبي؟ ربما سيكون الايسط القول، حتى لا نعود في كل لحظة الى التاريخ، ان اسرائيل حالة غير طبيعية وانها ستبقى كذلك رغم معاهدات السلام ما دامت تجسد صورة العدوان في حياتها اليومية (وحياتها): كيان زرع اصطناعياً في المنطقة العربية ولا يزال يسعى ليس فقط الى التمايز عنها، وانما الى الهيمنة عليها. عند هذا الحد، يمكن تحديد الهدف المرجو تحقيقه عربياً بالبساطة عينها.

ولنقل انه يراوح بين زوال الطابع الصهيوني للدولة الاسرائيلية، تحت ضغط مجموعة عوامل خارجية (اي عربية) وداخلية (اي ايضاً عربية ولو جزئياً)، او انخراط هذه الدولة في اطار اوسع يتحكم بها ولا تتحكم به. والنموذج الاوضح لمثل هذا الاطار الموسع هو الاتحاد الاوروبي، لاسيما اذا نظرنا اليه، مع كل الفوارق التاريخية والجغرافية والثقافية، من زاوية العلاقة الفرنسية - الالمانية.

وفي كلا الحالين، كما في كل الحالات التي يمكن ادراجها بين هذين الحدين، يصبح قياس العلاقات المقبلة بين اسرائيل والعرب في مدى ملاءمتها ليس للتطبيع "مع" اسرائيل (او رفضه)، وانما لتطبيع اسرائيل نفسها. والتطبيع هذا هو آخر ما يريده قادة اسرائيل، فلماذا لا ننقلهم نحن بهومومه؟

سمير قصير



Id-Reference	00-Pr-000390	
Media	(Support)	HC
Title		التطبيع أسئلة وهموماً
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تنمة ١٦
Date		٢٠٠٠/١/٢٨
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	
	Locations	عرب - اسرائيل
	Dates	
	Themes	عرب - اسرائيل - تطبيع - ديموقراطية - عولمة - "رفض تطبيع" - تسوية - علاقة فرنسية المانية - سلام
Subject		